الكتاب : نبي الرحمة
ورقة تعريفية بمحمد صلى الله عليه وسلم
محمد مسعد ياقوت

نبي الرحمة
ورقة تعريفية بمحمد صلى الله عليه وسلم
محمد مسعد ياقوت
بسم الله الرحمن الرحيم
الإهداء ..
إلى المعلم الأكبر
والمربي الأعظم
والهادي البشير
والمصلح الجليل
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
المبعوث رحمة للعالمين
محمد مسعد ياقوت
yakoote@gmail.com
yakoutey@yahoo.com
yakut.blogspot.com
20104420539+
رحمة للعالمين
يقول جان ليك في كتابه " العرب" :
"وحياة محمد[- صلى الله عليه وسلم -] التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله .. بألفاظ قليلة ، بين بها سبب بعث النبي محمد : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين } [الأنبياء: 107]. وقد برهن بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى المساعدة .. كان محمد رحمة حقيقة لليتامى والفقراء وابن السبيل والمنكوبين والضعفاء والعمال وأصحاب الكد والعناء ، وإني بلهفة وشوق .. أصلى عليه وعلى أتباعه ! ! "(1) .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد أساءت إلينا جميعا، وأساءت لكل إنسان، تلك الرسوم الكاركاتيرية المسيئة لنبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم - والتي نشرتها إحدى الصحف الدينماركية ، وغيرها من الصحف الغربية، في إطار حملة الإعلام الغربي على الإسلام ونبي الإسلام!

إنها تحاول أن تطعن - بحمق – في أقوى سلاح يمتلكه نبي الإسلام، إنه سلاح "الرحمة ".. وفي نفس الخطيئة وقع بابا الفاتيكان بندكت السادس عشر، عندما اتهم نبي الإ سلام - صلى الله عليه وسلم - بإنه نشر دعوته بالسيف، واستشهد بابا الفاتيكان بمقولة لأحد الصليبيين المتشددين يقول فيها: " أرني شيئا جديدا أتى به محمد، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف" ..

إنه يتهم نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - في أخص خصائصه على الأطلاق، ألا وهي خصيصة " الرحمة"، التي ساد وقاد بها العالم .

---

(1) جان ليك: العرب، ص 43

وأقل ما يمكن أن أقوم به لنصرة نبي الرحمة هي تلك الورقة التعريفية المبسطة المختصرة عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ..

بينت فيها صفاته وشمائله ومختصر سيرته بشكل جديد ومبسط وسهل . مستشهدًا بأقوال وشهادات علماء الغرب.

ومن ثم كان مخطط هذه الورقة على النحو التالي ::

المبحث الأول: تعريفٌ عامٌ بنبي الرَحْمَة - صلى الله عليه وسلم -

المطلب الأول : الميلاد والنشأة

المطلب الثاني : أخلاق وصفات محمد

المطلب الثالث : حال العالم عشية البعثة

المطلب الرابع :النبوة والوحي :

أولاً : شهادة الكتب السماوية السابقة

ثانيًا: شهادات علماء الغرب:

1- شهادة واشنجتون إيرفنج

2- شهادة مارسيل بوازار

3-شهادة أميل درمنغم

4- شهادة لايتنر
5- شهادة لورافيشيا فاغليري
6- شهادة روم لاندو
المطلب الخامس : لمحة مختصرة عن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -:
أولاً : أول ما نزل عليه - صلى الله عليه وسلم -
ثانيًا: إسلام العالم والكاتب النصراني ورقة بن نوفل
ثالثًا:أول من أسلم
رابعًا: إيذاء المسلمين
خامسًا: الهجرة إلى الحبشة وإسلام ملك نصارى الحبشة
سادسًا: الحصار وعام الحزن
سابعًا: دعوة القبائل ولقاء الأنصار
ثامنًا: الهجرة إلى المدينة المنورة
تاسعًا: الفتح وانتشار الدعوة
عاشرًا: حجة الوداع، ووفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -
المبحث الثاني: محمد رَحْمَة - صلى الله عليه وسلم - للبشر في أدبيات الغرب
المطلب الأول:شهادة إنجيل برنابا
المطلب الثاني: شهادة الراهب النصراني بحيرا
المطلب الثالث: شهادة العلامة توماس كارلايل
المطلب الرابع : شهادة المفكر البريطاني لين بول
المطلب الخامس : شهادة السير وليم موير
المطلب السادس: شهادة القسيس السابق دُرّاني
المطلب السابع : شهادة الكاتب الإسباني "جان ليك"
المطلب الثامن : شهادة العلامة واشنجتون ايرفنج
المطلب التاسع : شهادة الباحث الفرنسي جوستاف لوبون

المطلب العاشر: شهادة المؤرخ الشهير جيمس متشنر
المبحث الثالث: خصائص رحمته - صلى الله عليه وسلم -
المطلب الأول: ربانية الرحمة
المطلب الثاني : دعوية الرحمة
المطلب الثالث : عالمية الرحمة
المطلب الرابع : عبقرية الرحمة
المطلب الخامس : وسطية الرحمة
المطلب السادس : عملية الرحمة

محمد مسعد ياقوت
yakoote@gmail.com
yakoutey@yahoo.com
yakut.blogspot.com
+20104420539

المبحث الأول
تعريفٌ عامٌ بنبي الرَحْمَة - صلى الله عليه وسلم -
المطلب الأول : الميلاد والنشأة :
هو محمد(1) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي والذي يمتد نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ .
و لمحمد - صلى الله عليه وسلم -عدة أسماء، أشار إلى بعضها في أحد الأحاديث، فقال " لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي (أي يُحشر الناس إثر بعثه)، وأنا العاقب"(2) والعاقب الذي ليس بعده نبي.

---

(1) أكدت موسوعة جينيس للأرقام القياسية أن اسم محمد قد حقق أعلى معدل للتسمى به بين البشر، حيث بلغ عدد الذين يحملون هذا الاسم المبارك 70 مليون شخص على مستوى العالم ليصبح أكثر اسم في الوجود .من جهة أخرى كانت صحيفة ديلي تليجراف البريطانية قد كشفت أن اسم محمد الأكثر انتشارا بين المواليد في انجلترا وويلز في عام 2006، أكثر من اسم جورج !(لندن ـ وكالة الأنباء الإسلامية : بتاريخ 8 \ 1 \ 2007)
(2) صحيح البخاري ، ج 2، كتاب المناقب - باب: ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أخرجه مسلم في الفضائل - باب: في أسمائه صلى الله عليه وسلم - رقم: 2354

يقول المؤرخ الأمريكي رالف لنتون : "ولد محمد [- صلى الله عليه وسلم -] في مكة [20 أبريل 571م] من عائلة ذات مركز حسن، ولكنَّ أباه مات قبل ولادته، كما ماتت أمه عندما كان في السادسة من عمره.. وفي السنوات الأولى من سن المراهقة كان يعمل راعياً.. وعندما بلغ السابعة عشرة(1)من عمره ذهب إلى سوريا مع عمٍّ له(2) - بقصد التجارة –، وعندما أصبح في الرابعة والعشرين كان ينوب عن

أرملة غنية – هي السيدة خديجة – في السفر بقافلتها التجارية، وبعد عام آخر- أي في عام 595م - تزوج تلك الأرملة التي كانت في الأربعين من عمرها، وكانت قد تزوجت قبل ذلك مرتين، ولها من زوجيها السابقين ولدان وبنت. وولدت له هذه الأرملة ولدين ماتا عندما كانا طفلين(3)، وأربع بنات. وفي السنوات الواقعة بين عامي 595-610 م كان محمد تاجراً محترماً في مكة، وكان يلقب بالأمين نظراً لما اتصف به من صدق وحكمة في أحكامه"(4) .

المطلب الثاني : أخلاق وصفات محمد- صلى الله عليه وسلم - :

أولاً : أخلاقه :

---

(1) الصحيح في سن 12 سنة (ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر ص 7)

(2) هو أبو طالب

(3) هما القاسم وعبد الله ، وقد ماتا في سن الطفولة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

(4) رالف لنتون : شجرة الحضارة، 1/340

عاش النبي - صلى الله عليه وسلم -بعد وفاة عمه أبي طالب - في بيت جده عبد المطلب زعيم مكة، ومن ثم نال حظاً وافراً من الفطنة والفكر السديد، ومعايشة قضايا العالم ومشكلاته ونزاعاته .. فطالع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - صحائف البشرية وأحوال القبائل والجماعات والأحلاف، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذروة الإيجابية مع قضايا أمته ، فهو عضو في " حلف الفضول " للدفاع عن المظلومين، ورفض كل صور الظلم، وأكل الحقوق بالباطل .. كما إنه حكم عدل في فض النزاعات والمشكلات التي تحدث بين القبائل والعائلات .. كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَرِيكة، وأعفهم نفسًا، وأوفاهم عهدًا.. إنه ـ ببساطة شديدة ـ كما وصفته(1) زوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ ، يصل الرحم، ويحمل الكل، ويُكسب المعدوم، ويُقري الضيف، ويُعين على نوائب الدهر .

1- الامتياز في الأخلاق :

يقول المستشرق آرثر جيلمان : "لقد اتفق المؤرخون على أن محمداً] - صلى الله عليه وسلم

-]كان ممتازاً بين قومه بأخلاق جميلة؛ من صدق الحديث، والأمانة، والكرم، وحسن الشمائل، والتواضع.. وكان لا يشرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً"(2) .

2- لم تشبه شائبة :

و يقول كارل بروكلمان:

"لم تشبْ محمداً [- صلى الله عليه وسلم -]شائبة من قريب أو بعيد؛ فعندما كان صبياً وشاباً عاش فوق مستوى الشبهات التي كان يعيشها أقرانه من بني جنسه وقومه"(3)

3- المفكر الخلوق :

____

(1) انظر:صحيح البخاري، برقم 4572، وصحيح مسلم، برقم 231

(2) آرثر جيلمان :الشرق، ص117.

(3) نقلاً عن محمد عثمان عثمان : في كتابه (محمد في الآداب العالمية المنصفة) ص110.

ويتحدث توماس كارلايل(1) عن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قائلاً:

"لوحظ على محمد [- صلى الله عليه وسلم -]منذ [صباه] أنه كان شابًا مفكرًا وقد سمّاه رفقاؤه الأمين – رجل الصدق والوفاء – الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة . . وإني لأعرف عنه[- صلى الله عليه وسلم -] أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لبّ ! وقد رأيناه[- صلى الله عليه وسلم -] طول حياته رجلاً راسخ المبدأ، صارم العزم، بعيد الهم، كريمًا برًّا رؤوفًا تقيًا فاضلاً حرًا، رجلاً شديد الجدّ مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جمّ البِشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد.. عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك.. فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء"(2).

4- أعظم الناس مروءة

ويتحدث الباحث البلجيكي ألفرد الفانز: عن أخلاق محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول:

(1) توماس كارلايل(1795 – 1881 م) الكاتب الإنجليزي الشهير، من أعماله (الثورة الفرنسية) و(الأبطال) (1940)، وقد عقد فيه فصلاً كاملاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم،..الخ.
(2) توماس كارلايل : الأبطال ، ص50، 51.

"شب محمد [- صلى الله عليه وسلم -] حتى بلغ ، فكان أعظم الناس مروءة وحلماً وأمانة ، وأحسنهم جواباً، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين ، وبلغت أمانته وأخلاقه المرضية خديجة بنت خويلد القرشية ، وكانت ذات مال ، فعرضت عليه خروجه إلى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة ، فخرج وربح كثيراً ، وعاد إلى مكة وأخبرها ميسرة بكراماته ، فعرضت نفسها عليه وهي أيم ، ولها أربعون سنة ، فأصدقها عشرين بكرة، وتزوجها وله خمسة وعشرون سنة، ثم بقيت معه حتى ماتت. "(1) .

5- احترام الناس له :

ويتحدث الباحث الروسي آرلونوف، عن نبي الرحمة، ويقول :

"اشتهر [- صلى الله عليه وسلم -] بدماثة الأخلاق، ولين العريكة، والتواضع وحسن المعاملة مع الناس، قضى محمد [- صلى الله عليه وسلم -] أربعين سنة مع الناس بسلام وطمأنينة، وكان جميع أقاربه يحبونه حباً جماً، وأهل مدينته يحترمونه احتراماً عظيماً، لما عليه من المبادئ القويمة، والأخلاق الكريمة، وشرف النفس، والنزاهة ."(2).

6- أقوال من عاصروه :

هذه بعض أقوال علماء الغرب المنصفين في حديثهم عن أخلاق محمد ..

فماذا كانت أقوال من عاصروا النبي وكانوا معه كظله ؟ :

يقول علي بن أبي طالب:

(1) انظر: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة ، ص 17.
(2) آرلونوف : مقالة "النبي محمد "، مجلة الثقافة الروسية ، ج 7 ، عدد 9

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ، ولا يفرقهم ، يكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس عنهم ، من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا ، أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة : أحسنهم مواساة ومؤازرة ." (1) .

"كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ(2) ، ولا غليظ ولا صخاب(3) في الأسواق ، ولا فاحش ولا عياب ، ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ، ويؤيس منه ، ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء(4) ، والإكثار ، ومالا يعنيه وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ، ولا يعيره ، ولا يطلب عوراته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق(5) جلساؤه ، كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث من تكلم أنصتوا له ، حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون ، ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه"(6) .

---

(1) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي - (16)
(2) الفَظ : سَيِّء الخُلُق
(3) الصخَّب : الضَّجَّة، واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام
(4) المراء : المجادلة العقيمة
(5) أطرق : أمال رأسه إلى صدره منصتًا
(6) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي - (16)

"كان سكوت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير ، فأما تقديره ففي تسوية النظر ، والاستماع من الناس ، وأما تفكيره ففيما يبقى ، ولا يفنى وجمع له الحلم في الصبر ، فكان لا يغضبه شيء ، ولا يستفزه وجمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسن

ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته ، والقيام فيما هو خير لهم ، جمع لهم خير الدنيا والآخرة"(1).

كان " دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه"(2)..

ثانيًا : صفاته :

1- كلام أنس في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال أنس بن مالك – خادم النبي - - :

"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالْآدَمِ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ(3)، وَلَا بِالسَّبْطِ(4)، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ"(5)

"كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ضَخْمَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ"(6)

---

(1) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي - (16)
(2) الترمذي : مختصر الشمائل المحمدية، 24
(3) القطط: الشعر فيه التواء وانقباض
(4) السبط: الشعر المسترسل.
(5) صحيح البخاري - (5449)، وجعله الإمام الترمذي أول أحاديث كتابه الشمائل
(6) صحيح البخاري - (5456)

"كَانَ يَضْرِبُ شَعَرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْكِبَيْهِ"(1).

2- كلام ابن عباس في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -

"كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَسَدَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ"(2)

3- كلام البراء في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -
" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مربوعًا(3) ، بعيد ما بين المنكبين(4) عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئا قط أحسن منه"(5).
4- كلام جابر بن سمرة في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -
" رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -في ليلة إضحيان (مضيئة مقمرة) وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسن من القمر "(6) .
" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العين منهوس العقب " . قال شعبة : قلت لسماك : ما (ضليع الفم) ؟ قال : عظيم الفم . قلت : ما (أشكل العين) ؟ قال : طويل شق العين . قلت : ما (منهوس العقب) ؟ قال : قليل لحم العقب(7) .
5- كلام علي بن أبي طالب في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(1) صحيح البخاري - (5453)
(2) صحيح البخاري - (5462)
(3) ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
(4) المنكب : مُجْتَمَع رأس الكتف والعضد
(5) صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (3) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص 14
(6) صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (8) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص 26
(7) صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (7) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص 26

" لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم -بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس(1)، طويل المسربة(2)، إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب(3)، لم أر قبله ولا بعده مثله - صلى الله عليه وسلم – "(4).
6- كلام أبي الطفيل في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -
"رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وما بقي على

وجه الأرض أحد رآه غيري "
قيل له : صفه لي . قال : " كان أبيض مليحًا مقصدًا "(5) .
7- كلام أبي هريرة في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -
"كان أحسن الناس (صفة و أجملها كان) ربعة(6) إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطئ(7) بقدمه وطئ بكلها، ليس له أخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة (و إذا ضحك يتلألأ)(8) .
8- كلام أُمّ مَعْبَدٍ في وصف النبي - صلى الله عليه وسلم -
وهو أدق وصف – وصفه بشر في النبي- على الإطلاق .. !
قالت أمَّ مَعْبَدٍ تصف رسول الله لزوجها، لما مر بها في رحلة الهجرة :

---

(1) رؤوس العظام.
(2) المَسرَبة: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.
(3) الصبب: انخفاض من الأرض.
(4) صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (4) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص 15
(5) صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (12) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص 27
(6) الربعة : ليس بالطويل ولا بالقصير
(7) وطئ : وضع قدمه على الأرض أو على الشيء وداس عليه ، ونزل بالمكان
(8) حسن- رواه البيهقي (234): وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (8762)

"رَأَيْتُ رَجُلا ظَاهَرَ الْوَضَاءَةِ .. أَبْلَجَ الْوَجْهِ(1) .. حَسَنَ الْخَلْقِ ..لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ ..وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ ، وَسِيمٌ ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ(2) ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ(3) ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ(4) ،وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ(5) ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ(6) ، أَزَجُّ(7) أَقْرَنُ ..
إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلاهُ الْبَهَاءُ ..
أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبَهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ ،وأَحْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ

قَرِيبٍ ..
حُلْوُ الْمِنْطَقِ ، فَصْلٌ لا هَذِرٌ وَلا تَزِرٌ (8)، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ(9) نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ ..
رَبْعٌ لا يَأْسَ مِنْ طُولٍ(10) ، وَلا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ..
غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَرًا ،
وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ ،
إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ..

---

(1) أبلج الوجه : مشرق الوجه مضيئه
(2) شدة سواد العينين مع سعتهما، دلالة علي شدة جمل العينين
(3) في شعر أجفانه طول
(4) فيه بحة، كانت تجمل الصوت .
(5) طول
(6) الكث : الغزير والكثيف
(7) الحاجب الرقيق
(8) الفصل : البَيِّن الظاهر ، الذي يَفْصِل بين الحقّ والباطل
(9) الخرز : حبات تنظم في عقد تضعه المرأة في رقبتها لتتزين به، دلالة على تنسيق الكلام، وترتيبه، جمال العرض.
(10) الربعة : ليس بالطويل ولا بالقصير، وهي تقصد أنه متوسط الطول .

مَحْفُودٌ(1) مَحْشُودٌ(2) لا عَابِسٌ وَلا مُفَنَّدٌ(3) "(4) .
المطلب الثالث : حال العالم عشية البعثة :
"بينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله [- صلى الله عليه وسلم -] نور وضاء؛ أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام" (5) .
فقد وُلد النبي [- صلى الله عليه وسلم -] والبشرية تُعاني الأمرّين من صنوف الجهل والتخلف والانحطاط الخلقي والحضاري.. العرب في الجزيرة العربية كانوا يعبدون الأصنام ويقتلون البنات ويتكسبون من وراء الزنى والدعارة .. أما الشعب الفارسي فقد أدمن عبادة النار كما أدمن عبادة الطاغية كسرى، الذي كرث الطبقية والكراهية بين صفوف الشعب الفارسي .. وهذا هرقل أجج الخلاف

الطائفي بين الرومان فأخذ يذّبح من يخالفه في المذهب، فضلاً عن فساد السلطة الرومانية الحاكمة مالياً وإدارياً وسياسياً .. حتى وصل بهم الحد أن فرضوا ضريبة على الشعوب تسمى " ضريبة الرأس" .. وهي ضريبة يدفعها المواطن نظير ترك رأسه دون ذبح !
وهكذا كان العالم يموج بالظلم والتخلف .. إلى أن أرسل الله ـ تبارك ـ هذا الصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم -.

____

(1) المحفود : الذي يخدمه أصحابه
(2) المحشود : الذي يجتمع إليه الناس
(3) لا مفند : يعني لا عابس ولا مكذب
(4) صحيح – رواه الطبراني في المعجم الكبير (3524)،والحاكم في المستدرك (4243)،والبيهقي في دلائل النبوة، وابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني(3083)، وقال الذهبي – في التلخيص - : صحيح
(5) إبراهيم خليل أحمد(القس إبراهيم فيلوبوس سابقًا): محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص 47

ويبين هنري ماسيه (1) :
أن "بفضل إصلاحات محمد [- صلى الله عليه وسلم -] الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى، ليعدّوا دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية"(2)..
المطلب الرابع :النبوة والوحي :
أولاً : شهادة الكتب السماوية السابقة
لقد أخبرت التوراة والإنجيل عن بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - بشكل صريح تارة وبشكل فيه تلميح تارة أخرى :
ففي بشارة سفر العدد: ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال: "انظروا كوكباً قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها". . قال المهتدي الإسكندراني معلقاً: "ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره - صلى الله عليه وسلم -. حقًا إنه كوكب آل إسماعيل، وهو الذي تغير الكون لمبعثه -

صلى الله عليه وسلم -؛فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على أيدي أتباعه."(3).

وقد حُرف هذا النص في الطبعات المحدثة إلى: "يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم موآب، ويهلك من الوغى"(4).

---

(1) هنري ماسيه : ولد عام 1886، عمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (1916-1927)، وعضوًا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.من آثاره:كتاب (الإسلام) (1957)، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.

(2) هنري ماسيه : الإسلام ، ص 55.

(3) انظر: محمد بن عبد الله السحيم: أعظم إنسان في الكتب السماوية. ، فصل : بشارات العهد القديم بمحمد صلى الله عليه وسلم، ص21، وما بعدها.

(4) انظر: المصدر السابق

وفي سفر التثنية لما هُزمت جيوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله سبحانه وتعالى مستشفعاً بمحمد - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: "اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جيوش المؤمنين، فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد - صلى الله عليه وسلم -" وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: "اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته" ولا يمكن أن يكون هذا الدعاء – الذي في النص الأول – قد صدر من موسى عليه السلام، لأنه ينافي كمال التوحيد(1).

وقال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله : إن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: "إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء" وقال – أيضا – في الفصل السادس عشر: "إن الفارقليط لن يجيئكم مالم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكنه

يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب"(2)
ويقول عيسى ـ عليه السلام ـ في إنجيل برنابا : "لأن الله سيصعِّدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إيّاي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمنًا طويلاً في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة"(3) .
هذا، وقد شهد بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - رجالات اليهودية، كأمثال الحبر عبد الله بن سلام، ورجلات النصرانية كورقة بن نوفل ..
ليكونا حجة على كل يهودي أو نصراني إلى قيام الساعة !
ثانيًا: شهادات علماء الغرب:
كما شهد بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -كبار المفكرين والباحثين الغربيين في العصر الحديث ، ونذكر من هذه الشهادات :
1- شهادة واشنجتون إيرفنج
يقول الكاتب الأمريكي واشنجتون إيرفنج (1783-1859 م):

---

(1) انظر: المصدر السابق
(2) انظر: المصدر السابق
(3) إنجيل برنابا ،(80: 112 - 16)

"كان محمد [- صلى الله عليه وسلم -] خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ؛ ليدعوا الناس إلى عبادة الله"(1)..
2- شهادة مارسيل بوازار
ويثبت "مارسيل بوازار" نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - بإسلوب عقلاني وعلمي بكلمات بليغة فيقول :
"منذ استقر النبي محمد [- صلى الله عليه وسلم -] في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نُقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها.. ولما كان مُنظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث،

الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام.." (2).
ويضيف قائلاً :
" وكما يظهر التاريخ محمد [- صلى الله عليه وسلم -] قائدًا عظيم ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرًا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابدّ أن يكون محمد [- صلى الله عليه وسلم -] الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله ! ! "(3) .
3-شهادة أميل درمنغم:

---

(1) واشنجتون إيرفنج : حياة محمد ، ص 72 .
(2) مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام ، ص 46
(3) مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام ، ص 46

أما أميل درمنغم(1) فيدلل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، من خلال حادث وفاة ابراهيم ابن رسول الله، فيقول :
".. ولد لمحمد [- صلى الله عليه وسلم -]،[من مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه [- صلى الله عليه وسلم -]كثيرًا ولحّده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس، فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا [- صلى الله عليه وسلم -]كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..". فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال.."(2).
4- شهادة لايتنر :
يقول لايتنر(3) :
" بقدر ما أعرف من دينيْ اليهود والنصارى أقول بأن

ما علمه محمد[- صلى الله عليه وسلم -]ليس اقتباسًا
بل قد أوحي إليه به ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه
قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام
وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة
المقصد، والإيمان القلوب الثابت، والنظر الصادق
الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال
أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة
الدالة على نبوة محمد [- صلى الله عليه وسلم -]
وأنه قد أوحي إليه"(4) .
5- شهادة لورافيشيا فاغليري :

---

(1) إميل درمنغم مستشرق فرنسي ، من آثاره :
(حياة محمد) (باريس 1929) وهو من أدق ما صنفه
مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و (محمد
والسنة الإسلامية) (باريس 1955).
(2) إميل درمنغم :حياة محمد ، ص318
(3) لايتنر : باحث إنكليزي، حصل على أكثر من
شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت،
وزار الأستانة عام 1854، كما طوف بعدد من البلاد
الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها
(4) لايتنر : دين الإسلام ، ص 4 ، 5 .

أما الكاتبة الإيطالية لورافيشيا فاغليري(1) فتقول :
"حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن
يرموا نبي الله [- صلى الله عليه وسلم -] ببعض
التهم المفتراة. لقد نسوا أن محمدًا [- صلى الله
عليه وسلم -] كان قبل أن يستهل رسالته، موضع
الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة
حياته. ومن العجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون
أنفسهم عناء التساؤل؛ كيف جاز أن يقوى محمد [-
صلى الله عليه وسلم -] على تهديد الكاذبين
والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار
الجحيم الأبدية، لو كان هو قبل ذلك رجلاً كاذبًا ؟
كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات
مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه- وهو
الرجل ذو الفطرة البسيطة -حثًا موصولاً ؟ كيف
استطاع أن يستهل صراعًا كان يبدو يائسًا ؟ كيف
وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر
سنوات، في مكة، في نجاح قليل جدًا ، وفي أحزان لا
تحصى، إذا لم يكن مؤمنًا إيمانًا عميقًا بصدق رسالته

؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق ؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد[- صلى الله عليه وسلم -]كان عميقًا وأكيدًا"(2)..

6- شهادة روم لاندو :

ويكشف المفكر البريطاني روم لاندو زيف المكذبين لنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - بقوله :

---

(1) لورا فيشيا فاغليري : باحثة إيطالية معاصرة في التاريخ الإسلامي والعربية وآدابها.من آثارها: (قواعد العربية) (1937)، و(الإسلام) (1946)، و(دفاع عن الإسلام) (19529).

(2) لورافيشيا فاغليري : دفاع عن الإسلام ، ص37، 38.

"كانت مهمة محمد [- صلى الله عليه وسلم -] هائلة ! كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية، وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين محمد العربي[- صلى الله عليه وسلم -] ... إن الإخلاص الذي تكّشف عنه محمد[- صلى الله عليه وسلم -]في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أُنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد [- صلى الله عليه وسلم -] بأيّ ضرب من الخداع المتعمد. ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً. والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام أتباعًا جددًا. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً !"(1).

المطلب الخامس : لمحة مختصرة عن سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم -:

أولاً : أول ما نزل عليه - صلى الله عليه وسلم -:

كان أول ما بُدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أمر النبوة الرؤيا الصادقة واستمر ذلك ستة أشهر، ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة، فجاءه الملك جبريل – عله السلام - وهو في خلوته بغار حراء، وقرأ عليه النصف الأول من سور العلق : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5) } .
يقول المفكر البلجيكي جورج سارتون: و" صدع محمد [- صلى الله عليه وسلم -] بالدعوة نحو عام 610م وعمره يوم ذاك أربعون سنة... مثل إخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام].."(2) .

---

(1) انظر: أرنولد توينبي: الإسلام والعرب والمستقبل،ص33، 34.
(2) جورج سارتون : الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص 29، 30،31

ثانيًا: إسلام العالم والكاتب النصراني ورقة بن نوفل :
فبعدما استمع للنصف الأول من سورة اقرأ من فم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - :
قال ورقة فوراً : "هذا الناموس الذي نزل الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك" ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أومخرجي هم؟". قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا(1)، وأسلم ورقة، ليسجِّل التاريخ أن أول رجلٍ يصدِّقُ محمداً ويعتنق دينه هو عالمٌ نصراني.
ثالثا:أول من أسلم :
أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بتبليغ الدعوة سراً لمدة ثلاث سنين، فدعا قومه إلى الإسلام، فحاز قصب السبق صديقه ووزيره أبو بكر، وزوجته خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب، وخادمه زيد من حارثه .
وهؤلاء نواة الإسلام، ومنهم انبثق الدين الإسلامي، وانتشر في الناس، وعم نوره في البقاع.
يقول رالف لنتون : و" اجتذب الوحي الذي نزل على محمد [- صلى الله عليه وسلم -] عدداً من الأتباع، وبدأ ينتشر بين الناس.."(2) .

رابعًا: إيذاء المسلمين :
لما دخل النّاسُ في دين الله واحداً بعد واحدٍ، وكثر أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - فحينئذ ناصبه الوثنيون العداوة، فحمى الله رسوله - صلى الله عليه وسلم -بعمه أبي طالب، لأنه كان شريفًا معظماً في قومه.. وأما أصحابه فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم صَبَّ عليهم المشركون العذاب صبًّاً، وفتنوهم عن دينهم فتوناً، منهم بلال بن رباح العبد الأثيوبي وعمار بن ياسر، وأمه سمية وأهل بيته الذين عُذِّبوا في الله عذاباً شديداً، حتى قضى ياسر نحبه، ومرَّ أبو جهل بسمية - أم عمار - وهي تُعذب، فطعنها بحربة في فرجها فقتلها.

---

(1) صحيح – رواه البخاري ، بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، برقم 3
(2) رالف لنتون : شجرة الحضارة، 1/341.

كما قام صناديد قريش بتعذيب العديد من النساء اللائي أسلمن(1)، وضربن أروع الأمثلة في الثبات والصبر والاعتزاز بدعوة الإسلام، وكانت من بينهن زِنِّيرَةُ – أمَة رومية قد أسلمت فعُذبت في الله ، وأصيبت في بصرها حتى عميت- ، وأسلمت جارية عمر بن مؤمل من بني عدى، فكان عمر بن الخطاب يعذبها ـ وهو يومئذ على الشرك ـ فكان يضربها حتى يفتر ، وممن أسلمن وعُذبن أيضاً : أم عُبَيْس والنهدية وابنتها .
خامسًا: الهجرة إلى الحبشة وإسلام ملك نصارى الحبشة:
ويتحدث العلامة آتيين دينيه(2) ، عن مأساة المسلمين في هذه الفترة، قائلاً:
" وامتلأت نفس محمد [- صلى الله عليه وسلم -] حزناً ، أمام هذه المآسي التي كان يتحملها ضعاف المسلمين الذين لا يجدون من يحميهم . حقاً إن شجاعة المعذبين والشهداء في سبيل الله برهنت على إسلامهم العميق ، ولكنه رأى أن من الخير ألا يستمر هذا البلاء ، فنصح الضعفاء ومن لم تدعهم الضرورة إلى البقاء في مكة بالهجرة إلى الحبشة حيث المسيحيون ، وحيث التسامح والعدل اللذان اشتهر بهما ملكها النجاشي"(3) .

وهو ملك نصراني صالح، لا يُظلم عنده أحد. فأقام المهاجرون عند النجاشي على أحسن حال، فبلغ ذلك قريشاً فأرسلوا وفداً، ليكيدوهم عند النجاشي،وليخرجهم النجاشي خارج أرضه إلى المشركين فرجعوا خائبين. وأسلم النجاشي على يد رئيس الوفد الإسلامي الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب، بعدما قرأ على نجاشي آيات بينات من سورة مريم. وظلَّ المهاجرون عند النجاشي ينشر عليهم ظله وحمايته حتى رجعوا إلى المدينة المنورة سنة سبع للهجرة.

---

(1) انظر: صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، ص 71
(2) باحث فرنسي ، أشهر إسلامه عام 1927م وتسمى بناصر الدين، وكان شديد الهجوم على المستشرقين المعادين للإسلام، ومن آثاره : "الشرق كما يراه الغرب"، و" أشعة خاصة بنور الاسلام"، و " محمد رسول الله ".
(3) آتيين دينيه : محمد رسول الله ، ص 145

سادسًا: الحصار وعام الحزن:
اشتد أذى المشركين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فحصروه وأهل بيته في شِعب (وهو مكان بين جبلين في مكة يشبه السجن المفتوح) عُرف بشعب أبي طالب، وسُجن النبي المناضل - صلى الله عليه وسلم - مدة ثلاث سنين، حتى بلغهم الجوع و الجهد وسُمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشِعب، و بدأ حبس محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه في هلال المحرم سنة سبع من البعثة وخرج من الحصار وله تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب، ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير، فاشتد أذى الكفار له، وتطاولوا عليه.
وفي شوال سنة عشر من النبوة (في أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة 619 م) خرج إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله تعالى وأقام به أياماً، فلم يجيبوه وآذوه وأخرجوه ورجموه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وكان أشد يوم في حياته ..
وفي ذي القعدة سنة عشر من النبوة (في آواخر يونيو أو أوائل يوليو سنة 619م) عاد رسول الله- صلى الله عليه وسلم - - بسلامة الله إلى أرض

الوطن - ليستأنف الدعوة الإسلامية مرة أخرى في مكة .
سابعًا: دعوة القبائل ولقاء الأنصار:
أقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة يدعو القبائل إلى الله تعالى، ويعرض نفسه عليهم في مواسم الحج، وأن يؤووه حتى يبّلغ رسالة ربه ولهم الجنة ليس غير، فلم تستجب له قبيلة واحدة، فلما رأى الأنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وتأملوا أحواله، وقد سمعوا عنه من أهل الكتاب، قال بعضهم لبعض: "يا قوم ! تعلمون والله ! إنه للنبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ! "(1). وكان اليهود ينتظرون مبعثه - صلى الله عليه وسلم -، ويحذرون قبائل يثرب من اقتراب موعد نبي ..
ثامنًا: الهجرة إلى المدينة المنورة :

(1) ابن سيد الناس: عيون الأثر 1/ 205، وابن كثير : السيرة النبوية 2/176، وابن القيم : زاد المعاد 3/38

وبايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد الأنصار ، ووعدوه أن ينصروه ويمنعوه – في المدينة المنورة - حتى يبّلغ رسالة الإسلام، ومن ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالهجرة ..
يقول الباحث الإنكليزي جان باغوت غلوب :
"ولم تنقض سبعة أسابيع أو ثمانية حتى كان جميع المسلمين قد هاجروا من مكة باستثناء النبي[- صلى الله عليه وسلم -]نفسه وابن عمه علي بن أبى طالب وولده بالتبني زيد بن حارثة ورفيقه الأمين أبو بكر الصديق ... وجدير بنا أن نعترف هنا بأن محمداً [- صلى الله عليه وسلم -] أبدى جرأة منقطعة النظير ببقائه في مكة حيث لم يعد يحظى بحماية عمه أبو طالب كبير بني هاشم .وأدركت قريش خطورة ما وقع من تطور وهالهم أن المسلمين أخذوا يقيمون الآن في يثرب مجتمعاً متلاحم الوشائج خارجاً على نفوذهم وبعيداً عن متناول أيديهم، وأنهم شرعوا يكسبون أنصاراً إلى جانبهم من أبناء القبائل الأخرى الذين قد يتحولون إلى معاداة قريش . واجتمع كبار القوم في دار الندوة يتشاورون في أمر محمد[- صلى الله عليه وسلم -]ورأى بعضهم أن محمداً [- صلى الله عليه وسلم -]هو سبب كل ما يواجهونه من

متاعب، وأن من الخير لهم لو تخلصوا منه في أسرع وقت ممكن قبل أن يتمكن من اللحاق بأصحابه في يثرب[المدينة المنورة] "(1) .

وبالفعل حاول صناديد قريش – كما يقول رالف لنتون " ممن كانوا يكرهون عائلة محمد[- صلى الله عليه وسلم -]، ورأوا في تعاليمه ما يهدد مصالحهم، حاولت أن تغتاله؛ ولكنها لم تنجح في محاولتها.

وهاجر محمد [- صلى الله عليه وسلم -]والجماعة المخلصة القليلة من أتباعه إلى المدينة يوم 16 يوليه 622م وهو تاريخ هام يجب أن لا ننساه لأنه عام الهجرة الذي يؤرخ به جميع المسلمين حتى الآن"(2) ..

---

(1) جان باغوت غلوب : الفتوحات العربية الكبرى ، ص80-81 .

(2) رالف لنتون : شجرة الحضارة، 1/341.

وهناك في المدينة المنورة جمع الله علي محمد- صلى الله عليه وسلم - أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج أخوةً متحابين بعد قتال مرير وعداوة وقعت بينهم بسبب قتيل، فلبثت بينهم الحروب والصراعات مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأها الله بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وألف بينهم؛ حتى صاروا أمة واحدة، ودولة واحدة، ولكن المشركين ازداد حنقهم على الإسلام وأهله، لاسيما بعد هذا التقدم الهائل لدعوة الإسلام، وقيام دولة للمسلمين، فشن المشركون المكيون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلسلة من الحروب المتتابعة، مما اضطر الشعب الإسلامي إلى الدفاع عن نفسه، وإذن الله لهم بالقتال للدفاع عن دينهم وأنفسهم ودولتهم الناشئة .. التي يحاول الوثنيون القضاء عليها في مهدها. فشنوا على المسلمين حروباً، كمعركة بدر (17 رمضان 2هـ/13مارس624م)، ومعركة أحد (شوال 3هـ/إبريل624 م)، ومعركة الأحزاب (شوال 5 هـ\ مارس627م) ..

ولقد بلغ عدد الغزوات التي قادها النبي - صلى الله عليه وسلم - 28 غزوة، منها 9 غزوات دار فيها القتال بين الطرفين، والباقي لم يحدث فيها قتال، واستمرت هذه الغزوات من العام الثاني للهجرة حيث غزوة ودَّان (الأبواء) (صفر 2هـ - أغسطس 623

م).وحتى العام التاسع حيث غزوة تبوك (رجب 9 هـ / أكتوبر630م) .

يقول المؤرخ لويس سيديو(1) - معلقًا على هذه المعارك - :
" فدفع الله شرهم ، وهو أولى أن يحفظ نبيه [- صلى الله عليه وسلم -]القائم بالدعوة له ، وأحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وما زال آخذاً بيمينه، حتى غنى له الزمن ، وصفق له الدهر"(2) .
وعقب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - أسلم عدد من خيار علماء اليهود في المدينة، صدَّقوا بمحمدٍ - صلى الله عليه وسلم - واتبعوه بعد أن عرفوه بنعته الوارد في كتبهم، منهم الحبر اليهودي العلامة: عبد الله بن سلام – رضوان الله تعالى عليه - .
تاسعًا: الفتح وانتشار الدعوة:
واستطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد حوالي 19 سنة – كلها معاناة وإيذاء من المشركين - أن ينتزع من قريش صلحاً سمِّي صلح الحديبية في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة (في مارس628 م) ، ليتفرغ للدعوة ونشر الرسالة، فبعث رسلاً سفراء من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الزعماء والملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام، في رسائل وخطابات رفيعة المستوى، سامقة الذوق ..
ونجح النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته على نطاق واسع ، وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية كالنار في الهشيم، وزالت الجاهلية بتقاليدها المتخلفة، وعقائدها الفاسدة ..
وفتح رسول الله خيبر معقل الدس والمؤمرات في المحرم سنة 7 هـ (مايو 628).

---

(1) لويس سيديو (1808 – 1876): مستشرق فرنسي. مولده ووفاته بباريس. كان أبوه (جان جاك إمانويل سيديو، المتوفي سنة 1832) فلكياً من المستشرقين أيضاً. وتخرّج بكلية هنري الرابع، وعين مدرساً للتاريخ في كلية «بوربون» سنة 1823 . وهو صاحب كتاب «Histire des Arabes » ألّفه بالفرنسية، وأشرف علي مبارك باشا علىَ ترجمته إلىَ العربية مهذباً، وسماه «خلاصة تاريخ العرب العام » ومن آثار «سيديو» أيضًا: « جامع المبادىء والغايات

في الآلات الفلكية» لأبي الحسن علي المراكشي، مع ترجمة فرنسية.
(2) لويس سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص 54

ثم فتح مكة في رمضان 8هـ(يناير 630 م) اثر نقض قريش للعهد، وأصدر عفواً عاماً عنهم .. وأعلن الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأمان العام لكل الناس، فلا طوارىء ولا تعسف ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! ومن أغلق بابه عليه فهو آمن! ومن دخل المسجد فهو آمن !"(1). وعهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم(2)..
" فما إن أُقر السلام؛ حتى انتشر الإسلام في كل ناحية، بخطى واسعة، لا..! لقد بدا وكأن قوة غير منظورة كانت تعمل على إدخال الناس في دين الله أفواجاً بعد أفواج "(3)..
وحُطمت الأصنام، وسقطت رموز الوثنية، وتوحدت الشعوب والقبائل المتناحرة، وخرج العربي من عبادة العباد إلى عبادة الخالق رب العباد، وألغيت الطبقيات والعصبيات والنعرات الجاهلية ، وانتشر العدل والسلم والأمن ...
وأصبحت دولة الإسلام مهيبة قوية أمام قوى الفرس والرومان ..
ولما اعتدى عامل الرومان شرحبيل بن عمرو الغساني وقَتل سفير النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابي السفير/ الحارث بن عمير الأزدي، عندما أرسله النبي- صلى الله عليه وسلم - برسالة دعوية إلى عظيم بصرى في الشام، إذا بالنبي- صلى الله عليه وسلم - يعلن التعبئة العامة، ويغزو حدود الرومان الجنوبية، في سرية مؤتة(جمادى الأولى 8هـ/ سبتمبر 629 م)، وغزوة تبوك (رجب 9 هـ / أكتوبر630) التي ملئت قلب النظام الروماني بالفزع والهلع، من هذا القطب الدولي الثالث الناشىء المتمثل في دولة الإسلام..
عاشرًا: حجة الوداع، ووفاة النبي

____
(1) ابن سيد الناس :عيون الأثر ، 2 / 188
(2) ابن سيد الناس :عيون الأثر: 2 / 194
(3) مولانا محمد علي : حياة محمد وسيرته : ص221

بعد أن نجح النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته، وقويت دولة الإسلام، واستتب الأمن في الجزيرة العربية، ودخل الناس في الإسلام أفواجاً، وشاء اللّه أن يري رسوله - صلى الله عليه وسلم - ثمار دعوته، التي عانى في سبيلها ثلاثة وعشرين عاماً، حافلة بالجهد والعمل والبلاء ، وأحس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدنو أجله، ولذلك قصد نبي الله - صلى الله عليه وسلم - الحج، ليجتمع بالأمة ، فيأخذوا منه أصول الإسلام وكلياته، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة .
وفي اليوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) في العام العاشر من الهجرة (6مارس632 م) وقد اجتمع حوله مئة ألف وأربعة وأربعون ألفاً من الناس، فقام فيهم خطيباً، وألقى خطبة بلغية جامعة تضمنت أول إعلانٍ عامٍ لحقوق الإنسان عرفته البشرية، أعلن فيها الإخاء والمساواة والعدالة وحرمة الدماء والأموال وحقوق المرأة، ووضع تقاليد الجاهلية الفاسدة، فألغى دماء الجاهلية، والمعاملات الربوية والنعرات العصيبية.
وأهدى للبشرية أعظم وأحكم وأجمل شريعة في التاريخ، تلك الشريعة التي تحدث عنها العلامة"شبرل"(1) - مبديًا فخره واعتزازه بالنبي محمد- صلى الله عليه وسلم - - قائلاً:
" إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد[- صلى الله عليه وسلم -]إليها ، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً؛ أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون ؛ لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة "(2) .
وعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وسرعان ما أحس بالمرض ودنو الأجل.

---

(1) عميد كلية الحقوق بجامعة "فيينا"،وقال هذه الجملة في مؤتمر الحقوق سنة 1927
(2) انظر : عبد الله ناصح علوان : معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية، ص 155

وتُوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام 11هـ(6يونيو632)وخلفه في حكم الدولة وزيره صديقه الجليل أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب ثم

عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم جميعاً –.

المبحث الثاني

محمد رَحْمَة - صلى الله عليه وسلم - للبشر في أدبيات الغرب

المطلب الأول:شهادة إنجيل برنابا:

شهدت أدبيات الغرب وأشادت برحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - للبشر، ويأتي على رأس هذه الأدبيات إنجيل برنابا الذي بشر برحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - التي ينالها العالم عند قدومه من أرض الجنوب (الحجاز).

فيقول إنجيل برنابا(1): "سيأتي مسيا [أي محمد - صلى الله عليه وسلم -] المرسل من الله لكل العالم،.. وحينئذ يسجد لله في كل العالم، وتنال الرحمة.."(2) .

---

(1) يقول المستشرق سايل : إن مكتشف النسخة الإيطالية لإنجيل برنابا هو راهب لاتيني يسمى " مرينو"...واتفق أنه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا "سكتس الخامس "، فحدث يوما أنهما دخلا معا مكتبة البابا العتقية، فأخذ النوم هذا البابا ، فأحب الراهب مرينو أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا ، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو إنجيل القديس برنابا ، فخبأ هذا الإنجيل في ثوبه ، ولبث إلى أن إستفاق البابا فاستأذنه بالإنصراف حاملاً ذاك الكنز معه ، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على إثر ذلك الإسلام . اهـ .

وبعد اكتشاف هذا الإنجيل، شاع خبره في بداية القرن الثامن عشر فأحدث دوياً كبيراً، عند النصارى بشتى طوائفهم، وأجمعوا على محاربته وتكذيبه ، بل إن هذا العداء توارثته أجيال النصارى جيلاً بعد جيل ، بل قام أساقفة النصارى بتصنيف الردود على هذا الإنجيل الذي يبشر بشكل صريح جداً بمحمد صلى الله عليه وسلم ..

(2) إنجيل برنابا ، 82 : 16 – 18

يقول القس إبراهيم فيلوبوس(1) :

" كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى

بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو محمد - صلى الله عليه وسلم -"(2).
وجاء في الفصل السادس والتسعين – في إنجيل برنابا - من محاورة بين المسيح ورئيس كهنة اليهود، أن الكاهن سأله عن نفسه فأجاب بذكر اسمه واسم أمه، وبأنه بشر ميت ثم قال الإنجيل ما نصه:

---

(1) أسلم وأطلق على نفسه اسم " إبراهيم خليل أحمد "، وهو حاصل على ماجستير في اللاهوت من جامعة برنستون الأمريكية .ومن كتبه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) و(المسيح إنسان لا إله) و(الإسلام في الكتب السماوية) و(اعرف عدوك اسرائيل) و(الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) و(المبشرون والمستشرقون في العالم العربي الإسلامي).وقد كان راعياً للكنيسة الإنجيلية ، وأستاذاً للاهوت ، وأسلم على يديه عدد كبير من الناس .
(2) إبراهيم خليل أحمد (القس إبراهيم فيلوبوس سابقاً) : محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص 115

" أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا َسيرسل لنا مسيّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله ، وسيأتي للعالم برحمة الله. لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيا الله الذي ننتظره؟ . وأجاب يسوع: حقاً أن الله وعد هكذا ولكني لست هو، لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي. أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله . لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل كلها أن تفيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مسيا؟ فأجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي. أني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم . قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى لهذه الفتنة المعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله . فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً . حينئذٍ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله . الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد

الأصنام وعبدة الأصنام . وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به . وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً ." (1).
هكذا يتحدث إنجيل برناما عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنه "سيأتي للعالم برحمة الله"، بل لن يأتي محمد - صلى الله عليه وسلم -– حسب إنجيل برناما – إلا حين " يرحم الله العالم"، فيبعثه الله من الجنوب حيث أرض الحجاز ويهدم الأصنام في فتح مكة في العام الثامن الهجري، وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به، فيمكنَّ لهم الله في الأرض، ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم .
المطلب الثاني: شهادة الراهب النصراني بحيرا :
إن أول جملة قالها الراهب النصراني الشهير "بحيرا "حين رأى محمداً - صلى الله عليه وسلم - في رحلته الأولى إلى الشام مع أبي طالب - - :

---

(1) إنجيل برنابا ، 96 : 3-16

" هذا سيد العالمين ! هذا رسول رب العالمين ! هذا يبعثه الله رحمة للعالمين !"(1) .
وإن في ذلك لدلالة بينة على ما كان يتدارسه الرهبان والقساوسة في الأناجيل، حيث صفة الرحمة التي سجلتها الكتب السماوية السابقة في محمد- صلى الله عليه وسلم -.
المطلب الثالث: شهادة العلامة توماس كارلايل
في كلمات تنم عن عميق الحب وعلو التقدير، يتحدث توماس كارلايل (1795 – 1881م) الكاتب الإنجليزي المعروف، في إعجاب بصفات الرحمة في شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول:
".. لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير [- صلى الله عليه وسلم -] ... العظيم النفس، المملوء رحمة، وخيرًا، وحنانًا، وبرًا، وحكمة، وحجى، ونهى.. أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين ؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمدًا [- صلى الله عليه وسلم -] لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة .."(2) .
المطلب الرابع : شهادة المفكر البريطاني لين بول:

لا يُخفي "لين بول" (1652 _17 19) تأثره بمحمد- صلى الله عليه وسلم -، فيتحدث في مؤلفه : "رسالة في تاريخ العرب " عن سجايا خلق الرحمة في شخصية محمد- صلى الله عليه وسلم - في إعجاب جم قائلاً :

---

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين2\ 672 ، عن أبي موسى برقم 4229، ومصنف ابن أبي شيبة 6\ 317 برقم 31733، وابن عساكر:تاريخ دمشق 3\4، والطبري :تاريخ الأمم والملوك(تاريخ الطبري) 1\ 520، وسيرة ابن حبان 58 . محمد بن يوسف الصالحي : سبل الهدى والرشاد 2\140.
(2) توماس كارلايل : الأبطال، 51، 52

"إن محمداً [- صلى الله عليه وسلم -] كان يتصف بكثير من الصفات كاللطف والشجاعة ، وكرم الأخلاق ، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه ، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير ميل أو هوى، كيف لا، وقد احتمل محمد [- صلى الله عليه وسلم -] عداء أهله وعشرته سنوات بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه حتى لو كان يصافح طفلاً ! وأنه لم يمر بجماعة يوماً من الأيام رجالاً كانوا أم أطفالاً دون أن يسلم عليهم ، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة ، وبنغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها ، و تجذب القلوب إلى صاحبها جذباً !!"(1).
المطلب الخامس : شهادة السير وليم موير:
وأما الباحث وليم موير فيتحدث في مؤلفه : " حياه محمد " عن أخلاقيات النبي - صلى الله عليه وسلم - في تقدير بالغ لرقة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورفقه ورأفته،ولين عريكته ، فيقول :
"ومن صفات محمد[- صلى الله عليه وسلم -] الجليلة الجديرة بالذكر ، والحَرية بالتنويه : الرقة و الاحترام ، اللذان كان يعامل بهما أصحابه ، حتى أقلهم شأناً ، فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه ، ورسخت محبته عند كل من حوله ، وكان يكره أن يقول لا ، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب على سؤاله ، فضل السكوت على الجواب ، ولقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، وقالت عائشة[رض

الله عنها]، :وكان إذا ساءه شيء تبينا ذلك في أسارير وجهه ، ولم يمس أحداً بسوء الا في سبيل الله ، ويُؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان حقيراً ، ولا يرفض هدية مهداة إليه مهما كانت صغيره، وإذا جلس مع أحد أياً كان لم يرفع نحوه ركبته تشامخاً وكبراً"(2).

---

(1) لين بول : رسالة في تاريخ العرب نقلا عن : عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامي ، ص 438.
(2) وليم موير :حياة محمد 14

المطلب السادس: شهادة القس السابق دُرّاني
يقول العلامة الإنجليزي دُرّاني(1)، مشيراً إلى خلق الرحمة في النبي - صلى الله عليه وسلم - :
"أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد [- صلى الله عليه وسلم -] لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام.. فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره[- صلى الله عليه وسلم -]!"(2) ..
المطلب السابع : شهادة الكاتب الإسباني "جان ليك":
يقول الدكتور جان ليك في كتابه (العرب) :
"وحياة محمد[- صلى الله عليه وسلم -] التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله .. بألفاظ قليلة ، بين بها سبب بعث النبي محمد[- صلى الله عليه وسلم -] { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: 107]، وقد برهن بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف ، ولكل محتاج إلى المساعدة ، كان محمد[- صلى الله عليه وسلم -]رحمة حقيقة لليتامى، والفقراء، وابن السبيل، والمنكوبين، والضعفاء، والعمال، وأصحاب الكد والعناء ، وإني بلهفة وشوق .. أصلى عليه وعلى أتباعه ! "(3).
المطلب الثامن : شهادة العلامة واشنجتون ايرفنج.
يقول واشنجتون ايرفنج، في كتابه (حياة محمد)، مدللاً على خلق الرحمة في شخصية النبي - صلى الله عليه وسلم - بموقفه في فتح مكة وهو القائد المنتصر :

(1) الدكتور م. ج. دُرّاني : سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام 1939 وحتى عام 1963 حيث عاد إلى الإسلام .
(2) انظر: عرفات كامل العشي : رجال ونساء أسلموا ، 4 / 27 – 28 .
(3) جان ليك" العرب، ص 43

"كانت تصرفات الرسول [- صلى الله عليه وسلم -] في [أعقاب فتح] مكة[رمضان 8هـ/ يناير 630 م] تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي. ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو"(1).
المطلب التاسع : شهادة الباحث الفرنسي جوستاف لوبون :
يتحدث جوستاف لوبون(2) في كتابه (الدين والحياة)، عن علو أخلاق النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لاسيما رحمته ورقة قلبه، فيقول :
"لقد كان محمد [- صلى الله عليه وسلم -]ذا أخلاق عالية، وحكمة، ورقة قلب، ورأفة، ورحمة، وصدق وأمانة"(3).
وهذه الأخلاق هي التي جذبت آراء المنصفين لنبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم -، وعدَّتُه من أعاظم رجالات التاريخ ..
فيقول جوستاف لوبون في موضع آخر :
"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم؛ كان محمد [- صلى الله عليه وسلم -] من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا [- صلى الله عليه وسلم -] ، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله !"(4).
المطلب العاشر: شهادة المؤرخ الشهير جيمس متشنر :
ويتحدث جيمس متشنر عن بعض صور الرحمة في شخص النبي - صلى الله عليه وسلم -، مشيراً إلى بساطة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وإنسانيته،

ونبله، وحزمه، فيقول متشنر :
"إن محمداً [- صلى الله عليه وسلم -] هذا الرجل الملهم ،
الذي أقام الإسلام ،
ولد في قبيلة عربية تعبد الأصنام،
ولد يتيماً محباً للفقراء والمحتاجين والأرامل واليتامى والأرقاء والمستضعفين.

---

(1) واشنجتون ايرفنج : حياة محمد ، ص 72 .
(2) جوستاف لوبون : ولد عام 1841 وهو مؤرخ فرنسي مشهور، عني بالحضارات الشرقية.من آثاره: (حضارة العرب) (باريس 1884)، (الحضارة المصرية)، و(حضارة العرب في الأندلس).
(3) جوستاف لوبون: الدين والحياة، ص67.
(4) جوستاف لوبون: حضارة العرب ، ص 115 .

وقد أحدث محمد[- صلى الله عليه وسلم -] بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في شبه الجزيرة العربية وفى الشرق كله .
فقد حطم الأصنام بيديه ،
وأقام ديناً يدعو إلى الله وحده ،
ورفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها تقاليد الصحراء ،
و نادى بالعدالة الاجتماعية وقد عرض عليه في آخر أيامه أن يكون حاكماً بأمره ، أو قديساً ،
ولكنه أصر على أنه ليس إلا عبداً من عباد الله أرسله إلى العالم منذراً وبشيراً"(1) !
المبحث الثالث
خصائص رحمته - صلى الله عليه وسلم -
المطلب الأول: ربانية الرحمة:
فمن أسماء الله تبارك وتعالى الرحمن والرحيم ..
وقد افتتح سور القرآن، ببسم الله الرحمن الرحيم ..
وقال الله تعالى { نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ } [الحجر: الآيتان 49 ، 50]
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي"(2).
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ:

(1) انظر: حسين الشيخ خضر الظالمي : قالو في الاسلام ص 50.
(2) صحيح – رواه البخاري، كتاب بدء الخلق – باب: ما جاء في قول الله تعالى: "وهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (الروم: 27). ورواه مسلم في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى ، رقم: 2751.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ! فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنْ الْجَنَّةِ،وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنْ النَّارِ"(1) .
وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ- رضي الله عنه - قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يقُولُ :" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ؛ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي،غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"(2) .
وقد ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - مثالاً على رحمة الله للعبد :
فقد رأى امرأة متلهفة على ولدها، تبحث عنه، فلما رأته، تلقفته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : "أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟". قالوا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها !"(3)

(1) صحيح – رواه البخاري، كتاب الرقاق – باب: الرجاء مع الخوف. رقم 5988
(2) سنن الترمذي 3463
(3) صحيح – رواه البخاري، كتاب الأدب - باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته / و أخرجه مسلم في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: 2754.

وقد اتصف وتخلَّق محمدٌ- صلى الله عليه وسلم - بخلق ربه – سبحانه وتعالى – من أخلاق الرحمة والعفو ، حتى زكاه ربه بها وأثنى عليه فقال: { قَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة:الآية 128] .

المطلب الثاني : دعوية الرحمة :

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء :الآية 107] .

هكذا قالها الله بإسلوب القصر ، يعني النفي ثم الاستثناء، أي أنت لست إلا رحمة لست شيئا آخر غير الرحمة.. كما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - "أيها الناس .. إنما أنا رحمة مهداه"(1).

فكما أن دعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - للعالمين؛ فهذه الرسالة رحمة للعالمين جميعاً .. وهذا القرآن – الذي جاء فيه لفظ رحم ومشتقاته ثلاثمائة مرة(2) - رحمة للعالمين جميعاً .. رحمة في ذاته، ورحمة في تعاليمه، ورحمة في أحكامه ..

---

(1) صحيح - رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، والبيهقي، باب إنما أنا رحمة مهداة، برقم 61، ورواه ابن أبي شيبة عن ابي صالح 7\ 441، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم 490

(2) انظر: أحمد عبد الرحمن إبراهيم : الفضائل الخلقية في الإسلام، 147

وفي ذلك يقول واشنجتون ايرفنج : "يدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء وإلى مذاهب أخلاقية سامية"(1).. كما أن القرآن - في رأي جاك ريسلر(2) - " يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. إنه يسعى على الأخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة"(3).

وأوامره كما تقول "إلس ليختنستادتر" (4) "هي أوامر العدل للجميع، والرحمة بالضعيف والرفق والإحسان. وتلك هي الوسائل التي يضعها الله في يد الإنسان لتحقيق نجاته، فهو ثم مسؤول عن أعماله ومسؤول كذلك عن مصيره."(5) .

وهو كتاب هداية عظيم للبشرية، وهو أبلغ منهج للهداية ..

يقول نصري سلهب(6) :

---

(1) واشنجتون ايرفنج : حياة محمد، ص 304
(2) جاك. س. ريسلر: باحث وكاتب فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس. والحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية، تقديرا لكتابه "الحضارة العربية" بوصفه دراسة أساسية لمعرفة الإسلام.
(3) جاك ريسلر :الحضارة العربية ، ص 51 .
(4) الدكتورة إلس ليختنستادتر: باحثة ألمانية، درست العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت، ثم في جامعة لندن، وأقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرقين الأدنى والأوسط، وعنيت عناية خاصة بدعوات الاجتهاد والتجديد والمقابلة بين المذاهب. من مؤلفاتها (الإسلام والعصر الحديث).
(5) إلس ليختنستادتر: الإسلام والعصر الحديث، نقلاً عن: عباس محمود العقاد: ما يقال عن الإسلام ، ص 19
(6) باحث مسيحي لبناني ، يتميز بنظرته الموضوعية نحو الإسلام، وعُرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان.. ألقى العديد من المحاضرات في المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء، متوخيًا الهدف نفسه. من آثاره: (لقاء المسيحية والإسلام) (1970)، و(في خطى محمد) (1970).

".. إن محمدًا [- صلى الله عليه وسلم -] كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي إلى الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية- ذاك كان القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين ."(1) .
ولا شك أن أخلاق الرحمة هي عامل الجذب الإساس لدخول الناس في الإسلام، أو كما يقول يول(2): " الإحسان والرحمة والنزعة الإنسانية الخيرة العريقة – هذه وغيرها من العوامل كانت بالنسبة لي أعظم دليل على صدق هذا الدين" (3) .. الأمر الذي يعبر عنه "بشير تشاد بقوله" : " إن الإسلام هو دين الرحمة والحب والتعاطف الإنساني"(4).
المطلب الثالث : عالمية الرحمة :
كذلك نستفيد من قول الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (5)، أن رحمة محمدًا - صلى الله

عليه وسلم - رحمة شاملة وعامة وعالمية، وليست عنصرية تقوم على الأعراق أو الألوان أو المذاهب .. بل رحمة لكل البشر، رحمة عامة ومجردة للعالمين جميعاً، ليست رحمة للعرب دون العجم أو للمسلمين دون غيرهم، أو للشرق دون الغرب .. بل هي رحمة للعالمين..

---

(1) نصري سلهب : لقاء المسيحية والإسلام ، ص 22
(2) علي يول : دانمركي، تعرف على الإسلام عام 1973 خلال إحدى رحلاته إلى المغرب، وبعد عدد من اللقاءات مع بعض المسلمين هناك أعلن انتماءه للإسلام، وهو الآن يعيش في كوبنهاجن العاصمة.
(3) انظر: عرفات كامل العشي :رجال ونساء أسلموا ، 4 / 127 .
(4) انظر: عرفات كامل العشي: رجال ونساء أسلموا ، 7 / 21 – 22
(5) سورة الأنبياء:الآية 107

وفي ذلك تقول لورافيشيا فاغليري :"إن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيه [- صلى الله عليه وسلم -] (رحمة للعالمين)، هي نداء مباشر للعالم كله. وهذا دليل ساطع على أن محمدًا [- صلى الله عليه وسلم -] شعر في يقين كلّي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية وأن عليه أن يبلغ (الكلمة) الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى أجناس مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة" (1) .
وعن أبي موسى - رضي الله عنه -: أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لن تؤمنوا حتى تراحموا !".
قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم! قال: "إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكن رحمة العامة..رحمة العامة !"(2) ..
فهي الرحمة بالعامة، أي بعامة البشر، ويجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك من شروط الإيمان، فلا يعد الرجل مؤمنًا حتى يرحم الناس بصفة عامة .
كما في حديث أنس بن مالك ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "والذي نفسي بيده ، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم" ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا يرحم ، قال :" ليس برحمة أحدكم صاحبه ..

يرحم الناس كافة "(3) .
وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قال :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - :"
الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ
يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ "(4)..

---

(1) لورافيشيا فاغليري : دفاع عن الإسلام ، ص 24 – 25
(2) حسن لغيره - رواه الحاكم في المستدرك، برقم 7418، ورواه الطبراني ورواته رواة الصحيح ، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب
(3) صحيح - رواه أبو يعلى الموصلي 4145 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 167
(4) صحيح - مسند الحميدي، برقم 619 ، ورواه أحمد برقم 6206، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 925

فالرحمة بأهل الأرض تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن يرحمه ويتقى الله فيه، ويعلم أنه مسؤول أمام الله عن هذه العجماوات(1).
كما أن الرحمة بالخلق وأهل الأرض شرطٌ لنيل رحمة الخالق، بحسب عبارة الحديث: " ارْحَمُوا أَهْلَ الأرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السّماءِ".
ومن ثم كانت رحمته إنسانية عامة، شملت المسلم وغير المسلم، والمؤمن والمنافق، والعربي وغير العربي، والشرقي وغير الشرقي ، والأفريقي والأوربي، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، والإنسان وغير الإنسان، والحيوان والطير والجماد.
فهو يعتبر البشرية جميعها أسرة واحدة، تنتمي إلى رب واحد وإلى أب واحد وإلى أرض واحدة ..كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"(2).

---

(1) انظر: يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، 283
(2) صحيح - رواه أحمد ، برقم 22391، والطبراني في المعجم الأوسط برقم 4905، البيهقي برقم

4921، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2700

ومن ثم كان كان محمد رحمة لكل الأمم ، ولأمته خاصة، مهتمًا بأمرها، يخشى عليها من عذاب الله يوم القيامة، وقد كانت مشاعره جياشة في هذه المسألة، فذات مرة قرأ قول الله تعالى في القرآن على لسان عيسى : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (1)، ففاض ينبوع الرحمة، واهتز قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - يناجي ربه في خشوع : " اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى..!!".. وسرعان ما نزل الأمين جبريل مهدئًا من فزع محمد - صلى الله عليه وسلم - على أمته، ومبلغًا قائًلا: إن الله يقول لك : " إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ"(2) .
وكان رحمة كذلك لغير المسلمين، بل وأشر الخلق ، فكان رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يمارس هذه الرحمة مع شرار الناس، حتى يظن الفاجر أنه بخير!
وتأمل قول عمرو بن العاص- رضي الله عنه- :
"كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك ، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننت أني خير "(3) .

---

(1) سورة المائدة: الآية الكريمة 118
(2) صحيح – رواه مسلم، بَاب دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، رقم301
(3) حسن – رواه الترمذي في الشمائل المحمدية (295)، وحسنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية

واستفاد غير المسلمين من رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ ولأن الله تعالى كان يهلك من قبل الأمم الكافرة بسبب كفرها وعصيانها للأنبياء هلاكاً جماعياًّ، بينما رفع الله تعالى بعد بعثة محمد هذا الهلاك الجماعي، فاستفاد الناس من خلاصهم من مثل هذا العذاب، فكان ذلك نعمة دنيوية بالنسبة للكفار. يخاطب الله تعالى نبيه في هذا الخصوص فيقول: { وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال: 33]

وتأمل قدر النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنزلته عند الله: أي طالما أنت تعيش بينهم فلن يعذبهم الله. طالما أن ذكرك موجود، وتلهج به الألسنة، وطالما أن الناس يتبعون طريقك فلن يعذبهم الله ولن يهلكهم(1).
وكان رحمة للمنافقين أيضًا. فبسبب هذه الرحمة الواسعة لم يرَ المنافقون العذاب في الحياة الدنيا. فقد حضروا إلى المسجد واختلطوا بالمسلمين واستفادوا من كل الحقوق التي تمتع بها المسلمون. ولم يقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفضحهم وإفشاء أسرار نفاقهم أبداً مع أنه كان يعرف دخائل نفوسهم ونفاقهم، حتى إنه أخبر حُذيفة رضي الله عنه بذلك(2) لذا، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يراقب حُذيفة، فإن رآه لا يصلي على جنازة لم يصلها هو كذلك(3)، دون إحداث ضجة أو تشهير بالمنافق الميت .

---

(1) انظر: محمد فتح الله كولن : النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية، 2/69
(2) البخاري، فضائل أصحاب النبي، 20؛ ابن الأثير : أسد الغابة 1/468
(3) ابن الأثير : أسد الغابة 1/468

ومع ذلك فلم يهتك الإسلام سرهم، فبقوا بين المؤمنين، وانقلب كفرهم المطلق إلى ريبة وشك على الأقل، فلم يحرموا من لذائذ الدنيا؛ لأن الإنسان الذي يعتقد أنه سيفنى ويذهب إلى العدم لا يمكن أن يهنأ في عيشه، ولكن إن انقلب كفره إلى شك وشبهة فإنه يقول في نفسه: "ربما توجد هناك حياة أخروية"، عندئذ لن تكفهر حياته تمام الاكفهرار. ومن هذا المنطلق كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحمة لهم بهذا المعنى(1).
المطلب الرابع : عبقرية الرحمة :
لقد كانت رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - من عوامل نجاحه التي استعملها واستفاد منها في دعوته، قال الله تعالى :
{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك } (2).
يعني : لولا رحمتك يامحمد لانفضوا من حولك رافضين دعوتك ..

كما إن رحمته - صلى الله عليه وسلم -من دلائل عبقريته وفطنته، بمعنى آخر كانت رحمته تشكل بُعدًا آخر من أبعاد عبقريته وفطنته، وكانت هذه الرحمة من عوامل نجاحه التي استعملها واستغلها، وجعل منها شِبَاك رحمة لصيد القلوب ، واتخذ رحمته وسيلة لفتح القلوب السوداء، وتحريك المشاعير الصماء، ولا يعني هذا أنه كان يتصنع الرحمة، ويتخذها ذريعة للوصول إلى مآرب غير شرعية، بل كانت سمته الطبيعي وفطرته التي جبله الله عليها .

وشتان ما بين رحمة خالصة لوجه الله، ورحمة خالصة من أجل منفعة شخصية وضيعة، وشتان بين رحمة من أجل رسالة سامية، ورحمة من أجل زعامة فانية .

---

(1) انظر: محمد فتح الله كولن : النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية، 2/69

(2) سورة آل عمران : الآية 159

"هكذا كانت "الرحمة" في يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفتاحًا سحريًّا. وبهذا المفتاح فتح مغاليق أقفال صدئة لم يكن أحد يتوقع فتحها بأي مفتاح، وأشعل شعلة الإيمان في القلوب.. أجل، لقد سلّم هذا المفتاح الذهبي إلى محمد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأنه كان أليق الناس به، والله تعالى دائمًا يسلم الأمانة لمن هو أهل لها."(1) .

المطلب الخامس : وسطية الرحمة:

ومن خصائص رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضاً أنها رحمة متزنة وعادلة، فهو رحيم دون ضعف، متواضع بغير ذلة، محاربٌ لا يغدر، سياسيٌّ لا يكذب، يستخدم الحيلة في الحرب ولكن لا ينقض العهود والمواثيق، آمن خصومه بصدقه وأمانته، يجمع بين التوكل والتدبير، وبين العبادة والعمل، وبين الرحمة والحرب(2)..

وهذا وهو الحال في أخلاق محمد - صلى الله عليه وسلم - جميعها، فهي تعمل ضمن منظومة متناسقة متناغمة، تتشابك جميعها لتأدية أغراضها، فلا تتوسع صفة أو تقوى على حساب أخرى، ولا تعمل إحداها ضد الصفة التي تقابلها. كالقرآن والسيف في دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فالقرآن – في يدي النبي- صلى الله عليه وسلم -- كتاب هداية لمن أراد

الهدى، والسيف معه - صلى الله عليه وسلم - وسيلة لردع من يقاتله.
ويشير "جورج حنا"(3) إلى هذا التوازن في شخصية النبي - صلى الله عليه وسلم -، فيقول:

---
(1) محمد فتح الله كولن : النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية 1/6
(2) انظر محمد علي الخطيب: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة، 33
(3) الدكتور جورج حنا : كاتب نصراني من لبنان، وصاحب كتاب (قصة الإنسان).

" إنه [- صلى الله عليه وسلم -]لم يرض بأن يحوّل خدّه الأيسر لمن يضربه على خدّه الأيمن.. بل مشى في طريقه غير هيّاب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيف يحارب به من يحاربوه. لقد آمن به نفر قليل في بداية الدعوة، وكان نصيب هذا النفر مثل نصيبه من الاضطهاد والتكفير.. كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي انطلقت منها رسالة محمد[- صلى الله عليه وسلم -] "(1)
ومظهرٌ آخر للتوازن، هو ثبات صفة الرحمة فيه- صلى الله عليه وسلم - ، فهر رحيم في كل أحواله وأطواره ومواقفه، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - رحيم قبل البعثة وبعد البعثة، قبل الفتح وبعد الفتح، رحيم في النصر والهزيمة، رحيم في عسره ويسره، رحيم في سفره وحضره ... الخ
المطلب السادس : عملية الرحمة:
ومن خصائص رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضاً أنها ليست مجرد تعاليم نظرية، أو تطلعات فلسفية،أو كما يقال حبراً على ورق، بل شأنها كشأن سائر خصاله وأخلاقه التي ترجمها إلى منهج حياة عملية، وواقع حي عاشه المسلمون في العهود الإسلامية العريقة ..
فرحمة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة تطبيقية يمارسها في حياته اليومية، كما تقول عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه، فقالت" كان خلقه القرآن "(2)، فقد خرج من تعاليم القرآن المكتوبة إلى واقع الحياة بتطبيق هذه التعاليم وممارستها سلوكاً عمليًا .

خاتمة
هذا، وأدعو الله أن يتقبل مني هذه العمل .. أسأله – جل في علاه – أن يررزقني ثواب صوابه ، وهو منه، ويعفو عن خطئه؛ وهو مني.
اللهم يارب المساكين .. إني أسألك وأتوجه إليك، بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم.

---

(1) جورج حنا : قصة الإنسان ، ص 76 .
(2) صحيح – رواه أحمد برقم 23460، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم4811 .

وصلى الله على نبينا محمد في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين .